الشريعة نسخت على يد محمد بن اسماعيل بن جعفر ، الامام المكتوم ، اي قبل ظهورهم بنحو القرن · وتاريخ محمد بن اسماعيل يتعذر ضبطه لتناقض الروايات بشأنه · ومن المعروف مع ذلك ان قادة الاسماعيلية الذين انتهوا الى السلطة في شمال افريقيا هم من احفاده ، وهو عندهم الناطق السابع الذي تتبدل الشريعة بظهوره · ويرجع هذا التحديد الى اعتبارات نوميرولوجية بحتة· لان محمد المكتوم لم يكن في حال تسمح له باعلان نفسه ناطقا ـ اي ناسخا للشريعة ·

على صعيد الفعل ، لم يطبق الفاطميون مبدأ النسخ ، ويرجع هذا في بعض اسبابه ، الى قيام دولتهم في محيط سني واسع لم تستطيع الدعوة التأثير في عقائده ، وان استطاعت فرض سلطتها السياسية عليه (لنتذكر الزوال السريع للتشيع من مصر بعد زوال الفاطميين) · اضف الى ذلك ان اتساع الدولة الى امبراطورية افرغها من نزوع الحركة الاجتماعية الهادفة التي لا تتلاءم بطبيعتها مع الامبراطوريات ، حيث تطامنت الدعوة الى عقيدة خالصة ، منفصلة تماما عن السياسة الفعلية للدولة · وخلافا للفاطميين ، كان استيلاء القرامطة على رقعة صغيرة لا تملك كثافة سكانية ، عاملا مساعدا على المضي في الاسفار عن مبادئها وانشاء دولة لا علاقة لها بشريعة محمد · وتمثل دولة القرامطة في هذه الصيغة الثمرة النهائية لتطور الشيعة ، المحدد سلفا في رواياتهم عن جعفر الصادق ـ الامام المشترك للاثني عشرية والاسماعيلية ·· ومن الملحوظ هذا ان القرامطة حملوا الصفة المزدوجة للشيعي المتزندق ، فهم ـ باستثناء العناصر التي تأثرت باراء الرازي المناوئة للانبياء ـ مؤمنون بمحمد محبون لال بيته ، هذا الحب الذي حير بعض الكتاب فاحالوه الى التقارب في الاهداف الاجتماعية اذ خفي عليهم خط التسلسل التاريخي للقرامطة ، وهم في نفس الوقت اصحاب شرعة جديدة تختلف عن شريعة القرآن تمام الاختلاف تبنتها وطبقتها دولتهم بحرفيتها ، على النحو المعروف في تاريخ هذه الحركة ·

على ان نسخ الشريعة لم يقتصر على القرامطة ، فقد طبقه اسماعيلية اليمن واسماعيلية آلموت واسماعيلية الشام بعد الفاطميين والنصيرية والدروز · وتتفق هذه الشعب في صفتها المزدوجة : التشيع لآل البيت والخروج على شريعة محمد (١٦) ·

ويمكن ان نجد اتجاهات من هذا القبيل لدى شخصيات شيعية مستقلة · وقد مرت الاشارة الى باطني يدعى اسحق بن محمد النخعي ذكره الخطيب · ونشير الان الى شخصية اخرى لعبت دورا في الاحداث السياسية ببغداد في اوائل القرن الرابع هو محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن ابي العزاقر ، وهو امامي مشى في مسألة نسخ الشريعة الى مداها الابعد · وكان الشلمغاني يقول ، تبعا لرواية ابن الاثير ، ان محمد بعث الى كبراء قريش وجبابرة العرب ونفوسهم ابية